أثر التعبير بسوق المعلوم مساق غيره على المخاطب في البيان النبوي الشريف في صحيحي البخاري ومسلم؛ مقاماته، وصوره، دراسة بلاغية

د. يحيى محمد أحمد حسن (*)

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد ــ ﷺ ــ خير من أوتي جوامع الكلم، وروائع الحكم، إمام البلغاء، وسيد الفصحاء.

أما بعد،،،

فإن أحاديث الرسول ــ ﷺ ــ قد حوت صنوف البلاغة، وألوان الفصاحة، وعبرت أدق تعبير عن سمو النفس التي خرجب منها، وبينت المنبع العذب الذي نهلت منه، وكما يقول الجاحظ: " وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف..." [1].

ولفضل البيان النبوي الشريف، وأهميته في انتشار الإسلام ومعرفة أحكامه، جاءت فكرة البحث وهو : (**أثر التعبير بسوق المعلوم مساق غيره على المخاطب في البيان النبوي الشريف في صحيحي البخاري ومسلم، مقاماته وصوره، دراسة بلاغية**)، وتكمن أهمية الموضوع في كيفية تعامل الرسول ــ ﷺ ــ مع المخاطب ومراعاة حاله من حيث الدين والجنس والعمر والبيئة، وغير ذلك من الأحوال التي ــ لا شك ــ سيكون لها أثر في تعبيره واختيار أساليبه ﷺ.

كما تظهر أهمية هذا الموضوع في تقرير المعنى وثبوته عند المخاطب في صورة قوية ومؤثرة، فالتلفظ بكلام يعلمه المتكلم، في صورة لا يعلمه على سبيل التجاهل، أو خلاف الظاهر له في النفس موقع وتأكيد.

ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع :

- منزلة البلاغة النبوية وعلو شأنهان حيث كان الرسول ــ ﷺ ــ أبلغ العرب.

(*) المدرس بالمعهد العالى للغات و الترجمة بأسوان.

[1]- البيان والتبيين لعمرو بن بحر الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، (١٣/٢)، ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت،١٤٢٣ هـ.

- هذا الموضوع يوثق الصلة بين المتكلم والمخاطب، فالسؤال عن الشيء المعلوم له أهميته ووقعه في النفس.

وقد سبقت هذه الدراسة بدراسات كثيرة اهتمت بالقضايا البلاغية ودورها في رعاية حال المخاطب منها:

١- خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في صحيحي البخاري ومسلم، رسالة ماجستير للباحثة/ جميلة السيد علي زيدان، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية للبنات في القاهرة، الرقم الجامعي (١٤٣٩)، عام١٩٩٩م /١٤٢٠ه.

٢- رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين دراسة بلاغية تحليلية، رسالة دكتوراه، ليوسف بن عبدالله بن محمد العليوي، إشراف الأستاذ الدكتور/محمد بن علي بن محمد الصامل، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الأسلامي، جامعة الإمام، السعودية، ١٤٢٨ه، ١٤٢٩ه.

هذا، وقد اتضح الفرق بين بين الدراسات السابقة، وموضوع البحث، فلم يدرس أحد منها: (**أثر التعبير بسوق المعلوم مساق غيره على المخاطب في البيان النبوي الشريف في صحيحي البخاري ومسلم، مقاماته وصوره، دراسة بلاغية**) بدراسة منفردة.

وقد جاء البحث في مقدمة موجزة تبين أهميته، ومنزلته بين الدراسات البلاغية، وخطته، ومنهجه، ثم التمهيد، وقد جاء على محورين:

المحور الأول: سوق المعلوم مساق غيره وقيمته البلاغية.

المحور الثاني: أثر البيان النبوي الشريف على المخاطب.

وقد اقتضى المقام أن يكون البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثر التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في تنبيه المخاطب.

المبحث الثاني: أثر التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في تصحيح فهم المخاطب.

المبحث الثالث: أثر التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في إنكار ما توهمه المخاطب.

ثم بخاتمة بها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم أهم المصادر والمراجع.

وقد اصطفت هذه الدراسة المنهج الانتقائي الذي يقوم على اختيار أحاديث الدراسة وفق أمور أهمها:

١- استقراء واختيار أحاديث الدراسة المشتملة على أسلوب سوق المعلوم مساق غيره، وتوزيعها حسب خطة البحث [١].

٢- تحليل هذه الأحاديث تحليلًا بلاغيًا، بما يبرز مدى أهمية أثر أسلوب سوق المعلوم مساق غيره على المخاطب.

٣- الاعتماد على كلام النبي خاصة في اختيار الأحاديث التي اشتملت على سوق المعلوم مساق غيره.

٤- تحليل كل حديث على حدة مع ذكر معناه العام، وسبب وروده إن وجد، ثمَّ تحديد موطن الأسلوب الذي جاء فيه سوق المعلوم مساق غيره، وإبراز أثر السياق في اصطفائه دون غيره.

٥- ترجمت الأعلام غيرالمشهورين،وتخريج الأحاديث من صحيحي البخاري ومسلم.

[١]- جاءت جملة أحاديث الدراسة اثنا عشر حديثًا مختارة في مختلف المقامات التي تبرز بلاغته ـ ﷺ ـ مع المخاطب، فما اتفق عليه الإمام البخاري ومسلم حديث رقم (٥٠، ١٠٣٨، ٤٢٦٩، ٦٧٨٨) عند البخاري، وحديث رقم (٩، ١٢٥، ١٥٩، ١٦٨٨) عند مسلم، وما انفرد به الإمام البخاري حديث رقم (٦٣٨٢، ٧٥٠٨، ٧٥١٤، ٧٥١٩)، وما انفرد به الإمام مسلم حديث رقم (١٩٠٥، ٥٤، ١٢٨، ١٦٤).

التمهيد:

المحور الأول

سوق المعلوم مساق غيره وقيمته البلاغية

عرف البلاغيون سوق المعلوم مساق غيره بأنه: " سؤال المتكلّم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه؛ ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذمّ، أو ليدلّ على شدّة التدلّه فى الحبّ، أو لقصد التعجّب أو التوبيخ أو التقرير" [١]، وقد تعددت مسميات هذا الفن بين علماء البلاغة ما بين تجاهل العارف، والتجاهل، وسوق المعلوم مساق غيره، ومزج الشك باليقين، والتشكك... إلخ [٢].

وسوق المعلوم مساق غيره هو ذات الأسلوب الإنشائي ونوعه(الاستفهام)، ولكن ليس الغرض الحقيقي منه، وإنما يخرج عن إطار الحقيقة، وقد ذكر السبكي ذلك في تعريفه(للاستفهام) قائلًا : " هو طلب الفهم وقد يخرج عنه لتقرير أو غيره" [٣].

والتسمية التي يسير عليها البحث (سوق المعلوم مساق غيره)، كما سماها السكاكي، حين تحدَّث عن التحسين المعنوي في قوله: " ومنه سوق المعلوم مساق غيره، ولا أحبُّ تسميته بالتجاهل " [٤]؛ لأن هذا الفن وقع في كتاب الله ــ سبحانه وتعالى ــ وفي كلام الرسول ــ ﷺ ــ ولا يليق وصف الذات الإلهية، والرسول ــ ﷺ ــ بالجهل أو التجاهل، وقد فطِن السكَّاكي لهذا فَعَدل عن لفظ (التجاهل)، وسماه سَوْق المعلوم مساق غيره لنكتة، ليدخل فيه مواضع من القرآن رغم أنها منه، وعبارة

---

[١]- نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب البكري، شهاب الدين النويري (١٢٣/٧)، ط دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

[٢]- ينظر: البديع في البديع لأبي العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله (ت: ٢٩٦هـ)، (ص٢٢)، ط١،

دار الجيل، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، وكتاب الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تح/علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم (ص: ٣٩٦)،ط، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ، وتحرير التحبير لابن أبي الإصبع، تح/ د.حفني محمد شرف (ص:١٣٥)، ط لجنة إحياء التراث الإسلامي، ومفتاح العلوم لأبي يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه/ نعيم زرزور(ص: ٤٢٧)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

[٣]- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لأحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت: ٧٧٣هـ)، تح/الدكتور عبد الحميد هنداوي (٤٢٣/١)، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

[٤]- مفتاح العلوم للسكاكي (ص: ٤٢٧).

الجمهور بلفظ (التجاهل)، ولا تخفى استحالته على الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ والنبي ﷺ [١].

القيمة البلاغية لسوق المعلوم مساق غيره:

تكمن بلاغة هذا اللون البلاغي في التأكيد لإزالة شك المخاطب، ومطابقة الحال التي يكون عليها، وله في النفس حلاوة وحسن موقع، وهذه غاية البلاغة وهدفها[٢]، كما يساعد هذا اللون البلاغي في تقرير المعنى وثبوته عند المخاطب في صورة قوية ومؤثرة، فالتلفظ بكلام يعلمه المتكلم، في صورة لا يعلمه على سبيل التجاهل، أو خلاف الظاهر له في النفس موقع وقرار، فالتعبير بخلاف الظاهر له قدرة عالية في تمكين المطلوب لدى المخاطب واستشعار ذلك على نفسه وقلبه.

وقد جاء هذا اللون البلاغي في الحديث النبوي الشريف مشتملًا على أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة، التي تُظهر بلاغته ـــ ﷺ ـــ نحو المخاطب، ترغيبًا وترهيبًا، فكلام النبي ـــ ﷺ ـــ من خلال هذا الفنّ البلاغي في كثير من مواقف القول يأخذ مظاهر عدّة، يعبر فيها ـــ ﷺ ـــ تعبيرًا غير التعبير الحقيقي في الظاهر، ويوهم بأن السؤال للاستفسار، وواقع الحال أنه ـــ ﷺ ـــ يعرف الحقيقة، ولكنه ـــ ﷺ ـــ يُعبِّرُ بسوق المعلوم مساق غيره؛ لنكتة بلاغية يلقيها ـــ ﷺ ـــ على المخاطب للتنبيه أو الإقرار أو الإنكار...إلخ.

---

[١]- ينظر: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣)، (ص: ١٨)، ط، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة .

[٢]- ينظر: كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (ص: ٣٩٥)، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد (٦٦/٢)، ط دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

المحور الثاني
أثر البيان النبوي الشريف على المخاطب

البيان النبوي الشريف له أثره الواضح على السامع والمخاطب، وأثر البيان النبوي الشريف لا ينحصر في توحيد الله ـــ تعالى ـــ وإصلاح الأخلاق والمجتمع، وإقامة الشعائر، بل يمتد هذا الأثر ليشمل إصلاح المنطق [1]، وأداء البيان على الطريقة الصحيحة، والسمت الحسن؛ ولهذا دعا رسول الله ـــ ﷺ ـــ إلى البيان السديد، وعدم الخروج على الطبع في الكلام، والأداء في قوله: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، أَوْ إِنَّ بَعْضَ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ»[2]، فـ (من) في البيان الشريف للتبعيض والكلام فيه تشبيه، وحقه أن يقال: إن بعض البيان كالسحر، فقلب، وجعل الخبر مبتدأ مبالغة في جعل الأصل فرعا والفرع أصلا، ووجه التشبيه يتغير بتغير إرادة المدح والذم، واختلفوا العلماء في تأويل الحديث الشريف، فمنهم من حمله على الذم، وذلك أنه ذم التصنع في الكلام والتكلف لتحسينه ليروق للسامعين قوله ويستميل به قلوبهم، وأصل السحر في كلامهم الصرف، وسمي السحر سحرا؛ لأنه مصروف عن جهته فهذا المتكلم ببيانه يصرف قلوب السامعين إلى قبول قوله، وإن كان غير حق، أو المراد من صرف الكلام فضله، وما يتكلف الإنسان من الزيادة فيه من وراء الحاجة قد يدخله الرياء ويخالطه الكذب. وأيضا فإنه قد يحيل الشيء عن ظاهره ببيانه ويزيله عن موضعه بلسانه إرادة التلبيس عليهم، فيصير بمنزلة السحر الذي هو تخيل لما لا حقيقة فيه له.

وقيل: أراد به أن من البيان ما يكتسب به صاحبه من الإثم ما يكتسب الساحر بسحره.

وقيل: معناه الرجل يكون عليه الحق، وهو ألحن بحجته من صاحب الحق، فيسحر القوم ببيانه فيذهب الحق، وشاهد قول النبي ﷺ: " إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ

---

[1] - المنطق: " آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر، فهو علم عملي آلي، كما أن الحكمة علم نظري غير آلي، فالآلة بمنزلة الجنس " . كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر (ص:٢٣٢)، ط١، دار الكتب العلمية بيروت / لبنان، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

[2] - الجامع في الحديث لابن وهب لأبي محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (ت: ١٩٧هـ)، تح/د. مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، باب في الكلام لما لا ينبغي ولا يحسن (ص:٤٣٣) رقم (٣١٧)، ط١، دار ابن الجوزي – الرياض، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م.

بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، بِقَوْلِهِ: فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلاَ يَأْخُذْهَا" [١]، وذهب آخرون إلى أن المراد منه مدح البيان، والحث على تحسين الكلام وتحبير الألفاظ [٢] .

وقد أثر البيان النبوي الشريف على اللغة حتى بلغ ــ ﷺ ــ حد الكفاية في قدرته على الوضع، والشقيق من الألفاظ، وانتزاع المذاهب البيانية، حتى اقتضب ألفاظاً كثيرة لم تسمع من العرب قبله، ولم توجد في متقدم كلامها، وهي تعد من حسنات البيان، لم يتفق لأحد مثلها في حسن بلاغتها، وقوة دلالتها، وغرابة القريحة اللغوية في تأليفها وتنضيدها، وكلها قد صار مثلاً، وأصبح ميراثاً خالداً في البيان العربي، كقوله: " ماتَ حتف أنفه" [٣]، وقوله ــ ﷺ ــ في الحرب: "الآن حميَ الوَطِيس" [٤]، وهذا ضربٌ عزيز من الكلام يحتذيه البلغاء ويطبعون على قالبهِ؛ وكلما كثر في اللغة لانت أعطافه، واستبصرت طُرُق الصنعة إليه، وما من بليغ أحدث في العرَبية منه ما أحدثه النبي ﷺ [٥] .

فالرسول ــ ﷺ ــ أثر في المخاطب تأثيرا جعله يصل إلى حد المطاوعة والإقرار، سواء في الألفاظ التركيبة أم المفردة مما يكون مجازة مجاز الإيجاز والاقتضاب؛ وهذا الباب كانت تنصرف فيه العرب بالاشتقاق والمجاز، فتضع الألفاظ وتنقلها من معنى إلى معنى، غير أنها في أكثر ذلك إنما تتسع في شيء موجود ولا توجِد

---

[١] - صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، تح/محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين (١٨٠/٣) رقم (٢٦٨٠) من حديث أم سلمة رضي الله عنها، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

[٢] - ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت:٧٤٣هـ)، تح/ د. عبد الحميد هنداوي (١٠/ ٣٠٩٧)، ط١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م.

[٣] - مسند الإمام أحمد بن حنبل(ت: ٢٤١هـ)، تح/شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي (٣٤٠/٢٦) رقم (١٦٤١٤)، من مسند عبدالله بن عتيك، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

[٤] - السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ)،حققه وخرج أحاديثه/ حسن عبد المنعم شلبي، إشراف شعيب الأرناؤوط، كتاب السير، باب الرجل يكون له المال عند المشركين فيقول: «شيئا يخرج به ماله» (٣٨/٨) رقم (٨٥٩٣) من حديث كثير بن العباس بن عبد المطلب، عن أبيه، ط١، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م.

[٥] - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، ط٨، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥ هـ /٢٠٠٥م.

معدوماً؛ فلم يعرف لأحد من بلغائهم وضع بعينه يكون هو انفرد به وأحدثه في اللغة ويكون العرب قد تابعوه عليه، إلا ما ندر لا يعد شيئاً؛ بخلاف المأثور عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ في مثل ذلك، فهو كثير تعد منه الأسماء والمصطلحات الشرعية مما لم يرد في القرآن الكريم؛ ومنه ألفاظ كان العربُ أنفسهم يسألونه عنها ويعجبون لانفراده بها وهم عربٌ مثله؛ كما عجبوا لفصاحته التي اختص بها ولم يخرج من بين أظهرهم، ومن ذلك كتبه الغريبة التي كان يمليها ويبعث بها إل قبائل العرب يخاطبهم فيها بلحونهم، ولا يعد ألفاظهم وعباراتهم فيما يريد أن يلقيه إليهم، وما ندري أي ذلك أعجب؟ أن ينفرد النبي ــ ﷺ ــ بمعرفة هذا الغريب من ألسنة العرب دون قومه وغير قومه ممن ليس ذلك في لسانهم عن غير تعليم ولا تلقين ولا رواية، أو أن يكون قومه من قريش قد ضربوا في الأرض للتجارة حتى اشتق اسمهم منها، وخالطوا العرب وسمعوا مناطقهم في أرضهم، وحين يتوافَون إليهم في موسم الحج، وهم مع ذلك لا يعلمون من هذا الغريب بعضَ ما يعلمه، ولا يديرونه في ألسنتهم، ولا يُورثونه أعقابَهم فيما ينشأون عليه من السماع والمحاكاة[1]، وكل ذلك له كان كبير الأثر على سمع المخاطب والسامع حتى ظهرت النتيجة في زيوع الإسلام وانتشاره بطريقة سريعة.

هذا، وتأثير البلاغة النبوية على المخاطب ولا سيما في سوق المعلوم مساق غيره قد أفضى على المخاطب نوعًا من الإفهام والإقرار بطريقة بديعة جعلته يشارك المتكلم فيما يريد، فكانت الإجابة سريعة في المقامات المختلفة التي أراد الرسول ــ ﷺ ــ أن يثبتها للمخاطب.

[1]- ينظر: المرجع السابق (٢١٤، ٢١٦) .

المبحث الأول

أثر التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في تنبيه المخاطب

جاء سوق المعلوم مساق غيره تنبيهًا للمخاطب في المقامات التي تستدعي ذلك موقظًا ومنبهًا المخاطب على ما ينبغي، وقد جاء ذلك في مقامات كثيرة تظهر فصاحته ــ ﷺ ــ فممن جاء في مقام الرياء والسمعة، والحث على الإخلاص لله ــ تعالى ــ ما رواه الإمام مسلم بسنده :

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ رضي الله عنه ــ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ " [١] .

دل الحديث الشريف على دخول الغازي والعالم والجواد الناروعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله، كما دل البيان النبوي الشريف على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى {**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ**}[٢]، وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله ــ تعالى ــ بذلك مخلصًا وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من

---

[١] - صحيح الإمام مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تح/محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (١٥١٣/٣) رقم (١٩٠٥)، ط، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[٢] - سورة البينة، من الآية (٥).

فعل ذلك لله تعالى مخلصًا[1] .

هذا، وقد جاء سوق المعلوم مساق غيره في قوله ـ ﷺ ـ فيما أخبر به عن ربِّ العـزة: (فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟)، وهو سؤال يعلمه الخالق حقيقة، لكنه عبر على لسان نبيه ﷺ بسوق المعلوم مساق غيره؛ لنكتة بلاغية، وهي تنبيه المخاطب على تغليظ تحريم الرياء، وشدة عقوبته، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال [2].

ففي سوق المعلوم مساق غيره (فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟)، مع المجاهد في سبيل الله ـ تعالى ـ تجد سوق المعلوم دل على تنبيه المخاطب وتقريره على أنه لم يقاتل مخلصًا لوجهه ـ تعالى ـ بل من أجل الرياء والسمعة، فالاستفهام دل على التنبيه والتقرير لأمر يعلمه المتكلم حقيقة، وهو الجهاد ليس خالصًا لإعلاء كلمة الله ـ تعالى ـ بل من أجل السمعة والمفاخرة.

وقد تآزر مع سوق المعلوم مساق غيره في تنبيه المخاطب وتقريره على ما أراده المتكلم، التعبير بالفعل الماضي (فَعَرَّفَهُ) بالتشديد؛ تنبيهًا وتذكيرًا لهذه النعم التي نُعم بها في الدنيا، وقوله: (نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا) وفي رواية: (فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا) بالإفراد [3]، " ولعل الفرق اعتبار الإفراد في الأولى والكثرة في الأخيرتين...، ولعل المراد بالكثرة أصناف العلوم والأموال، والله أعلم بالحال، وليس المراد بالإفراد نعمة الشهادة كما يتوهم فإنه لا يلائمه ما بعده، بل المراد إفراد جنسية النعمة فإن المفرد المضاف للعموم بخلاف الأخيرتين فإنه جمع فيهما لإرادة الأنواع، أو أفرد في الأول لنعمته البدنية فقط بخلاف الأخيرتين فإنه انضم معها النعمة المالية أو العلمية" [4]، فرواية الإفراد مع المجاهد دلت على نعمته البدنية التي استطاع من خلالها أن يقاتل ويجاهد، ورواية الجمع مع الأخيرتين؛ لأنه انضم مع النعمة البدنية

---

[1]- ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، (٥١/١٣)، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢ه.

[2]- ينظر: المرجع السابق (٥١/١٣).

[3]- شعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تح/الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ومختار أحمد الندوي، باب تعظيم القرآن، فصل في رفع الصوت بالقرآن إذا لم يتأذ به أصحابه (١٩١/٤) رقم (٢٣٧٨)، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

[4]- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ)، (٢٨٨/١)، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .

نعمة المال والعلم فناسبها التعبير بصيغة الجمع في جميع الروايات .
كما تظهر بلاغة التعبير بالفعل الماضي (فَعَرَّفَهُ) من خلال التبكيت وإلزام المنعم بالاعتراف والتقرير بالنعمة، ولذلك جاء التعبير بالفاء التي دلت على التعقيب في قوله: (فعرفها).
وتظهر بلاغة التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في قوله: (فما عملت) جزاء شرط محذوف هو مقول القول، أي: إذا كان مقررًا عندك أمن تلك النعمة الموجبة للشكر مني فما فعلت في حق تلك النعمة؟ وهي منح القوة، والشجاعة، وتهيئة آلة المحاربة لإعلاء كلمات الله، يعني كيف أديت شكرها [1]، وفي هذا تنبيه للمخاطب حيث إنه لم يشكر نعمة ربه التي أنعم بها عليه من قوة الجسد والشجاعة والتهئية للحرب في أنه كان يجب عليه أن يقاتل من أجل الله وفي الله، لا أنه يقاتل من أجل أن يقال عنه جريء وشجاع.
فبلاغة التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في هذا المقام أنه عمل على تقرير المخاطب وتنبيهه نحو الخطأ الذي وقع فيه؛ ولهذا استوجب دخول النار.
وسوق المعلوم مساق غيره في الرجل الذي تعلم العلم الشرعي في قوله: (فما عملت فيها؟) جاء تنبيهًا للمخاطب على أنه لم يقم بواجبه نحو هذه النعمة من تعلم العلم والقرآن، فالاستفهام الذي أفاد معنى التنبيه والتقرير حمل المخاطب على التذكير والتنبه وكأنه لفرط ما به من هول نسى وتناسى ما كان منه في الدنيا، فكان التعبير بأسلوب سوق المعلوم مساق غيره في هذا المقام أداة قوية كشفت للمخاطب مدى بعده عن الصواب والذي يكون، فهو لم يتعلم العلم ويقرأ القرآن مخلصًا لله ـ تعالى ـ بل كان يقرأ القرآن من أن أجل السمعة والتفاخر، ولهذا نجد التعبير بهذا الأسلوب قد حمل المخاطب على التقرير والإيضاح للذي كان منه.
وتظهر بلاغة التعبير بسوق المعلوم مساق غيره ـ في هذا المقام ـ في التوجيه والإرشاد للسامع نحو الذي ينبغي، فلا ينبغي للمسلم أن يتعلم العلم والقرآن من أجل السمعة والمفاخرة بل يجب أن يكون فيه الإخلاص وابتغاء رضى الله ـ تعالى ـ شكرًا للنعمة ووفاءً للمقصود من عموم الخير وزيوعه بين أبناء الدين الواحد.

[1] - ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت:٧٤٣هـ)، تح/د. عبد الحميد هنداوي (٦٦٦/٢)، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م.

وسوق المعلوم مساق غيره في الرجل الذي وسع الله عليه في قوله: (فما عملت فيها؟)، أي: في مقابلة النعم أو في الأموال [1]، (قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها)، فالتعبير بحرف الجر (من) زائدًا جاء تأكيدًا لاستغراق النفي، وكأن المخاطب يقول: (ما تركت سبيلًا تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت، كبناء المساجد والمدارس وإعطاء الزكاة والصدقات ..إلخ[2]، فجاء الرد من رب العزة ـ سبحانه ـ بقوله: (كذبت)، أي: أن هذا العمل وهذه الصدقة لم تكن خالصة لأجل الله ـ تعالى ـ وإنما من أجل الرياء والسمعة، ولهذا استوجب الرجل السحب إلى النار.

وتظهر القيمة البلاغية لأسلوب سوق المعلوم مساق غيره ـ في هذا المقام ـ في التبيه والإيقاظ لهذا الرجل المنعم عليه بالمال، حيث إنه لم يكن الإنفاق منه في الدنيا لله ـ تعالى ـ بل كان ينفق من أجل أن يقال عنه أنه جواد وكريم، وقد قيل ذلك فاستوجب النار، كما تظهر القيمة البلاغية لهذا الأسلوب في الحث على العطاء والصدقة ابتغاءً لوجه الله ـ تعالى ـ لأنه ـ سبحانه ـ هو المعطي والمانع والرازق، فينبغي على العبد أن يؤدي شكر نعمة ربه عليه بالعطاء والنفقة ابتغاء وشكرًا له جل وعلا.

ومما جاء في مقام فضل الاستخارة ما رواه البخاري بسنده:

"عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ: " إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ " [3].

---

[1]- ينظر: مرقاة المفاتيح (٢٨٩/١).

[2]- ينظر: المرجع السابق (٢٨٩/١).

[3]- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، تح/محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب الدعوات، باب الدعاء عندالاستخارة (٨١/٨) رقم (٦٣٨٢)، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

جاء البيان النبوي الشريف؛ لينبه المخاطب على فضل صلاة الاستخارة، وهي " طلب الخير في الشيء وهي استفعال من الخير ضد الشر فالمراد طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما"[١]، وأنه ـ ﷺ ـ كان يعلم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الاستخارة؛ لطلب تيسير الخير في جميع أمورهم، كما كان يعلمهم السورة من القرآن الكريم، فالبيان النبوي الشريف أكَّد" استحباب صلاة الاستخارة والدعاء المأثور بعدها في الأمور التي لا يدري العبد وجه الصواب فيها، أمَّا ما هو معروف خيره: كالعبادات وصنائع المعروف، فلا حاجة للاستخارة فيها " [٢].

هذا، وقد جاء سوق المعلوم مساق غيره في قوله ـ ﷺ ـ : (اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي...، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي...)؛ تنبيهًا للمخاطب على أهمية هذه الصلاة لاستجلاب الخير والنفع والاطمئنان الذي يقع عليه إذا قام بفعل هذه الصلاة، وتنبيهًا على أن هذه الصلاة تكون بهجة للنفس والسرور "بغير الواجب والمستحب فلا يستخار في فعلهما والمحرم والمكروه لا يستخار في تركهما فانحصر الأمر في المباح أو المستحب إذا تعارض فيه أمران أيهما يبدأ به أو يقتصر عليه وألحق به في الفتح الواجب والمستحب المخير وفيما إذا كان موسعًا...، ويتناول العموم العظيم والحقير، فرب حقير يترتب عليه الأمر العظيم"[٣] .

وتظهر بلاغة التعبير بأسلوب سوق المعلوم مساق غيره ـ في هذا المقام ـ في التنبيه والإقرار والتفويض إليه ـ سبحانه ـ والرضا بما يقسمه من الخير والشرفالمتكلم " أوقع الكلام موقع الشك على معنى التفويض إليه، والرضا بعلمه فيه، ويحتمل أن الشك في أن العلم متعلق بالخير أو الشر، لا في أصل العلم " [٤]، كما تظهر قيمة التعبير بسوق المعلوم مساق بركة الصلاة والدعاء لما هو خير بخلاف ما إذا تمكن الأمر عنده وقويت فيه عزيمته وإرادته فإنه يصير له إليه ميل

---

[١]- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني (ت: ٩٢٣هـ)، (٢١٦/٩)، ط٧، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣هـ.

[٢]- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لأبي محمد محمود بن أحمد العينى (ت: ٨٥٥هـ)، (٢٢٤/٧)،ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٣]- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢١٦/٩).

[٤]- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا الهروي (٩٨٦/٣).

وحب فيخشى أن يخفى عنه وجه الأرشدية لغلبة ميله إليه [1] .
والبيان النبوي الشريف، يزدحم بالترابط والتلاحم بين الألفاظ والجمل التي تؤكد تنبيه المخاطب على الإقرار والتفويض للخالق ـ سبحانه ـ تأمل قوله ـــ ﷺ ـــ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ)، فالمخاطب تسيطر عليه عاطفة الحاجة والضرورة نحو متطالباته؛ لذا تجد الخشوع والدعاء يسيطر على قلبه وجوارحه حتى يحظى بالاختيار الصواب تجاه حاجته .

وتأمل التعبير بالعلم أولًا في قوله ـــ ﷺ ـــ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ) إشارة إلى علمه ـ تعالى ـ الواسع الذي لا يحد بحد ولا يضبط بضابط، قال ـــ تعالى ـــ : (وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا)[2]، والقدرة ثانيًا في قوله ـ ﷺ ـ: (وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ)؛ إشارة إلى تعظيم الخالق ـ سبحانه ـ وأنه (عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [3]، فهو القادر على اختيار أفضل الأمرين .

كذلك انظر إلى تعبيره بالباء في قوله: (بِقُدْرَتِكَ) التي كشفت عن خضوع العبد لربه في استعانته بعلمه وقدرته، فكأنه يقول يارب أطلب خيرك مستعينًا بعلمك فإني لا أعلم فيم خيرك، وأطلب منك القدرة فإنه لا حول ولا قوة إلا بك، وإما دلت هذه الباء على الاستعطاف، أي بحق علمك الشامل وقدرتك الكاملة، ونظير هذا قوله ـــ سبحانه ـــ:(**قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ**) [4].
كما أن جملة (وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ)، دليل على علمه الذي لا ينقطع ولا ينقص، فصيغة المبالغة (علام) كشفت حقيقة العلم والقدرة عند الخالق ـــ سبحانه ـ وإشارة وتنبيهًا للعبد نحو الخالق ـ عز وجل ـــ إلى كونه هو القادر على اختيار المناسب له فيما يقدره له، كما دل هذا التعبير بصيغة المبالغة (علام) على هدم الظنون والشرك

[1] - ينظر: إرشاد الساري (٢١٦/٩).
[2] - سورة طه، من الآية (٩٨).
[3] - سورة البقرة، من الآية (٢٠).
[4] - سورة القصص، من الآية (١٧)، وينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته للعظيم آبادي (ت: ١٣٢٩هـ)، (٢٧٨/٤)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

والطيرة والأبراج والضرب على الرمل ...إلخ التي تنتشر بين قليل الدين ولا سيما في هذا العصر.

هذا، وجملة (وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ) لف ونشر، وتذييل وتتميم وتكميل مع إطناب وتأكيد لما قبله من تنبيه المخاطب على علم وقدرة الخالق ـ سبحانه ـــ من اختيار أفضل الأمرين للعبد الذي أقبل على صلاة الاستخارة.

وقوله ـ ﷺ ـ: (اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ)؛ جاء تأكيدًا لهذا التتميم والتأكيد بتمام الرضي والإقرار على ما يقدره الله ـ سبحانه ـ له بعد صلاته واستخارته لمولاه، فقوله ـ ﷺ ـ: (اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ)، سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلًا منه به ليخرج كلامه مخرج التقرير[١]؛ لعلم الله وشموله في أن يختار له الخير الذي ينعم به في دينه ودنياه.

وقوله: (اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ...)، إشارة وتنبيه للمخاطب على علم الله وسعته فهو الذي يعلم الخير والشر ولا سيما في أمر المخاطب الذي أقدم على صلاة الاستخارة، ومما تجدر الإشارة إليه أن (إن) في قوله: (اللهم إن كنت تعلم) أنها ليست للشك إذ لا يجوز الشك في كون الله عالمًا، وقيل: إن الشك في أن العلم يتعلق بالخير أو الشر لا في أصل العلم [٢]، و" المعاش والمعيشة واحد يستعملان مصدرا واسما، والعيش الحياة " [٣]، دليل على قدرة الله ـ تعالى ـــ وعلمه بما يصلح للعبد من الصالح الطيب الذي يطمئن به قلبه للمعيشة في الدنيا وحسن المنقلب في الآخرة.

وقوله: (واقدر لي الخير حيث كان)، إشارة وتنبيهًا للمخاطب بأن القدرة على اختيار الخير هي من عند الله وحده، فهو الذي يقدر لعباده الخير والشر وهو على كل شيء قدير، وهذا فيه من التأكيد واليقظة للمخاطب بأن الله وحده هو المنوط

---

[١]- ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري (ت: ٦٥٤هـ)، تح/ الدكتور حفني محمد شرف (ص: ١٣٥)، ط، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.

[٢]- ينظر: إرشاد الساري (٢١٧/٩).

[٣]- عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٢٤/٧).

والمتصرف في الكواكب كلها، فلا شريك ولا ولد ولا وسيط، ولهذا جاءت جملة : (ثم ارضني به)؛ لأن هذا الأمر الذي اختاره الله ـ سبحانه ــ للعبد إن لم يرض به كان منكدًا وكدرًا للعيش .

والناظر في هذا السياق، يرى أنَّ التعبير بسوق المعلوم مساق غيره، قد كشف عن تقرير علم الله ـ عزوجل ـ وإرادته على تقدير الخير لعباده الصالحين، وصرف الشر عنهم بما يضمن لهم السلامة في الدين والدنيا، فيجب على المؤمن رد الأمور كلها إلى الله ـ عز وجل ـ وصرف أزمتها والتبرؤ من الحول والقوة إليه، وينبغى له أن لا يروم شيئًا من دقيق الأمور وجليلها، حتى يستخير الله ـ سبحانه ــ فيه ويسأله أن يحمله فيه على الخير ويصرف عنه الشر؛ إذعانًا بالافتقار إليه فى كل أمر؛ والتزامًا لذلة العبودية له، وتبركًا باتباع سُنّة نبيّه فى الاستخارة [1]، فالسياق كله تنبيه ويقظة للسامع والمخاطب حتى يسعد بالعيش في الدنيا والآخرة .

ومما جاء في مقام سؤال جبريل ـ عليه السلام ــ عن الإيمان والإسلام، ما أخرجه البخاري ومسلم بسندهما:

" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ»، قَالَ: مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: " الإِسْلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ "، قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: " مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ فِي البُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ " ثُمَّ تَلاَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [2]،الآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: «رُدُّوهُ» فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الإِيمَانِ " [3].

---

[1] - ينظر: شرح صحيح البخارى لأبي الحسن علي بن خلف بن بطال (ت: ٤٤٩هـ)، تح/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم (١٢٣/١٠)، ط٢، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

[2] - سورة لقمان، من الآية (٣٤).

[3] - أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ـ ﷺ ـ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (١٩/١) رقم (٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الإيمان ما هو وبيان خصاله (٣٩/١) رقم (٩).

دل هذا الحديث النبوي الشريف على تغاير الإيمان والإسلام، فـ" الإيمان تصديق بأمور مخصوصة والإسلام إظهار أعمال مخصوصة " [١]، والهدف من هذا الحديث هو التعليم والتنبيه للمخاطب.

هذا، وقد جاء سوق المعلوم مساق غيره في قوله: (ما الإيمان، ما الإسلام، ما الإحسان؟) دلالة وتأكيدًا على هذا التنبيه، فقوله : (ما الإيمان، ما الإسلام، مالإحسان؟) سؤال يعلمه المتكلم حقيقة، فجبريل ــ علسه السلام ــ يعلم الإجابة لكنه ــ عليه السلام ــ آثر التعبير بسوق المعلوم مساق غيره؛ لنكتة بلاغية وهي تنبيه المخاطب وإيقاظه نحو الفرق بين الإيمان والإسلام، والإحسان.

وتظهر بلاغة التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في هذا المقام في تنبيه المخاطب نحو الفرق بين مفهوم الإيمان والإسلام، فالفرق بينهما هو العموم والخصوص فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا، وبهذا التعبير البلاغي تجد أثره على السامع والمخاطب في تثبيت العقيدة وترسيخها بما يضمن لها عدم الميول والانحراف.

وقد تآزر مع هذا المعنى البلاغي، الإجابة على هذه الإسئلة المطروحة من قبل المتكلم، فإجابة المتكلم وسعت دائرة الإيقاظ والتنبيه لدى المخاطب وجعلته يفكر ويتنبه نحو الهدف الرئيس لهذا الحديث وهو التعليم والإيضاح للجالسين حول رسول الله ــ ﷺ ــ فمفهوم الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث، هذا من أهم مراتب التعليم؛ لأن أصول العقيدة وتثبيتها في النفوس هي المنوطة بفعل واجبات وانتشار هذا الدين.

وكذلك التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في قوله: (ما الإسلام)، ترى فيه توضيحًا ويقظة للمخاطب من خلالها يشتد ساعده نحو المطلوب بصورة قوية تتحمل البناء والتجهيز لجميع صفات التوحيد، فقوله: (الإسلام: أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان) كشف وأظهر قواعد البناء التي من خلالها يستطيع المخاطب أن يكون عبدًا صالحًا لله ــ تعالى ــ فعبادة الله ــ تعالى ــ وعدم الإشراك به هي غاية التوحيد، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان هي القواعد والأسس التي من خلالها يستطيع المسلم أن يؤسس

[١]- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢ه)، (١/١١٤)، ط، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ه .

شبكة قوية مع ربه لا تنفصل ولا تنفك عن الهدف الرئيس وهو العبادة له وحده وعدم الإشراك به.

وجاء التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في قوله: (ما الإحسان؟) تأكيدًا على ما سبق من الإيمان والإسلام، فالإجابة على هذا السؤال كشفت عن حقيقة العبادة وإخلاصها لرب العزة ــ سبحانه ــ فعبادة الله ـ تعالى ــ كأنك تراه، جاء تنبيهًا ويقظة للسامع على إخلاص العبادة له ــ تعالى ــ وحده المنزه عن الشريك والولد، كما أن جملة: (لم تكن تراه فإنه يراك) كشفت مدى أن يكون العبد مراقبًا لله ــ وحده ــ فهو الذي راه في السر والعلن، فالتعبير بسوق المعلوم في هذا المقام أظهر ووضح للمخاطب ما ينبغي له أن يكون عليه من الإيمان والإسلام والإحسان فالمقام مقام تعليم وتنبيه.

وتظهر بلاغة البيان النبوي الشريف في السؤال عن (الإيمان، الإسلام، الإحسان) بسوق المعلوم مساق غيره، فى الكشف عن أدوات البناء التي ينبغي أن يتسلح بها المسلم في إتباعه لهذا الدين العظيم، وتوضيحًا لمدى الفرق بين الإيمان والإسلام، ومدى سكون الإيمان في القلب حين يتحقق بمضمون الإحسان، والإقرار بأن الله ـ تعال ـ مطلع على الغيب بيده صيرورة الأمور والعواقب، فإذا عرف المسلم هذه الأمور استقر واطمئن وأخلص في إقامة العبادة والمعاملات بطريقة يحبها الله ورسوله ــ صلى الله عليه ــ فالسؤال بسوق المعلوم ـ ولا سيما ــ بالاستفهام أحدث يقظة وتفكرًا في نفس المخاطب وعقله .

وعند التأمل في البيان النبوي الشريف تجد معاني بلاغية تأكيدًا على مضمون التوحيد للخالق ــ سبحانه ـ فسوق المعلوم مساق غيره نراه في السؤال عن (الإسلام، والإيمان، والإحسان)؛ تأكيدًا على أسس البناء وإظهارها للمخاطب بصورة قوية محكمة يستطيع من خلالها أن يؤسس هذا الدين على قواعد متينة قوية يتشعب منها أهداف وألوان هذا الدين في جميع الجوانب في الدنيا والآخرة.، أما عند السؤال عن الساعة في قوله: (ما الساعة؟) تجد الأمر قد اختلف فالمتكلم لا يعلم متى وقوع هذه الساعة؛ لأنها من اختصاص الخالق ـ سبحانه ــ قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ)

[1]، فعلم وقوع يوم القيامة هو مختص بعلم الله ـتعالى ـ وحده، وهذا فيه من الإشارة والتنبيه ما يجعل السامع متيقظًا نحو علم الله وسعته، وأنه لا علم لأحد ـ ولو كان ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا ـ بعلمه ـ سبحانه ـ فمع قرب جبريل ـ عليه السلام ـ من ربه ـ سبحانه ـ ونزوله بالوحي على الأنبياء والمرسلين ـ عليهم السلام ـ إلا أنه لا يعلم الغيب، وهذا يعد تنبيهًا وإيقاظًا للسامع أيضًا يتآزر مع التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في هذا المقام.

ومما جاء في مقام العرض على الله ـ تعالى ـ ما رواه البخاري بسنده:

"عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ سَلَفَ - أَوْ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَالَ: كَلِمَةً: يَعْنِي - أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا، فَلَمَّا حَضَرَتِ الوَفَاةُ، قَالَ لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ - أَوْ لَمْ يَبْتَئِزْ - عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، وَإِنْ يَقْدِرِ اللَّهُ عَلَيْهِ يُعَذِّبْهُ، فَانْظُرُوا إِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ: فَاسْحَكُونِي -، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ رِيحٍ عَاصِفٍ فَأَذْرُونِي فِيهَا، فَقَالَ: نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي، فَفَعَلُوا، ثُمَّ أَذْرَوْهُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُنْ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَائِمٌ، قَالَ اللَّهُ: أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، - أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ -، قَالَ: فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ عِنْدَهَا " وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى: «فَمَا تَلَافَاهُ غَيْرُهَا»[2] .

دل البيان النبوي الشريف على سعة رحمة الله ـ تعالى ـ الواسعة على خلقه " فما أعظم هذا الكرم، وأوسع هذا الحلم والرحمة، هذا مع شك هذا الرجل في قدرة الله، وعدم إيمانه بما يجب عليه بأنه ـ تعالى ـ على كل شيء قدير، ولكن رحمة الله تغلب غضبه" [3].

هذا، وقد جاء سوق المعلوم مساق غيره في قوله ـ تعالى ـ (أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ؟)، فالله ـ تعالى ـ يعلم ما حمل هذا الرجل على ما فعل من أمر الوصية التي أوصى بها أبناؤه قبل موته من الحرق والسحق ...إلخ، فقوله

---

[1] - سورة الأعراف، من الآية (١٨٧).

[2] - أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام الله)، (١٤٥/٩) رقم (٧٥٠٨).

[3] - شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله بن محمد الغنيمان (٤٠٠/٢)، ط١،مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ.

ــ تعالى ـــ (مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ؟) سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة، ولكنه ــ سبحانه ــ عبر بسوق المعلوم مساق غيره؛ لغرض بلاغي وهو تنبيه المخاطب على قدرة الله ــ تعالى ـــ التي جمعته بعد موته وحرقه وتفريقه في أماكن متفرقة.

فالمخاطب خوفًا من الحساب أوصى أولاده ــ قبل موته ــ بأنه إذا مات حرقوه وسحقوه ثم نثروه في الريح، وهذا كله خوفًا من الحساب، ومقابلة الخالق ــ سبحانه ـــ ومما يدل على هذا المعنى وصيته وأمره لأولاده قبل موته في قوله: (أي أب كنت لكم؟)؛ ليكون ذلك أدعى إلى تنفيذ أمره، فكأنه يقول: ما دمتم تعرفون أني كنت لكم خير أب، فمن جزائي عليكم أن تفعلوا ما آمركم به.

وقوله: (حتى إذا صرت فحماً فاسحقوني، أو قال: فاسحكوني، فإذا كان يوم عاصف فأذروني فيها)، والسحق، والسحك، كلاهما بمعنى واحد، وهو أن يطحن حتى يصير ذرات صغيرة جدًا، ولهذا أمرهم أن يذروه في اليوم الذي تكون الريح فيه عاصفا، أي: شديدة؛ إمعانا في تفريق أجزائه، ظنا منه أن الله لا يقدر على إعادته بعد ذلك، وهذا هو مقصده [1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الرجل لم ينكر التوحيد بالله ــ تعالى ـــ فـ " ليس المرادُ نفيَ كلِّ خيرٍ على العموم، بل المراد: نفيُ ما عدا التوحيد، ولذلك غفر له، وإلا، فلو كان التوحيد منتفياً أيضاً؛ لتحتم عقابه سمعاً، ولم يغفر له" [2] .

وتظهر بلاغة التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في هذا المقام في الحث على التنبيه والإقرار بأن الله ــ تعالى ــ هو القادر على كل شيء، وهو المتحكم في كل شيء لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، تأمل التعبير بالاستفهام في قوله ــ سبحانه ـــ (ما حملك على أن فعلت ما فعلت؟)، فهذا الاستفهام يحمل المخاطب على اليقظة والتنبه على الخطأ ومراجعة النفس، فيما فعله في الدنيا من شأن الحرق والسحق والنثر، ثم هو مجموع في جسده يوم القيامة، يُسأل بين يدي الله ـــ تعالى ـــ أمر في دهشة وإعجاب لمن كذب بلقاء الله ــ تعالى ـــ ثم العجب الكبير في مغفرة الله ـــ تعالى ـــ وكرمه بأن غفر له ذلك وأدخله الجنة.

---

[1]- ينظر: المرجع السابق (٣٩٩/٢).

[2]- مصابيح الجامع لمحمد بن أبي بكر بن عمر المعروف بالدماميني (ت: ٨٢٧ هـ)، تح/نور الدين طالب (٢٤٤/١٠)، ط١، دار النوادر، سوريا، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

ومما يـتآزر مع التعبير بسوق المعلوم مساق غيره، جواب المخاطب في قوله: (مخافتُك، أو فَرَقٌ منك): بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الحاملُ لي على ذلك مخافتُك، أو فَرَقٌ منك.

فإن قلت: هلا جعلته فاعلاً بفعلٍ مقدَّر؛ أي: (حملَني على ذلك مخافتُك أو فرقٌ منك)، قلت: لوجهين:

أحدهما: أنه إذا دار الأمر بين كونِ المحذوفِ فعلاً، والباقي فاعلاً، وكونِه مبتدأ، والباقي خبر، فالثاني أَوْلى؛ لأن المبتدأ عينُ الخبر، فالمحذوفُ عينُ الثابت، فيكون حذفاً كَلاَ حذفٍ، وأما الفعل، فإنه غيرُ الفاعل.

الثاني: أن التشاكلَ بين جملتي السؤال والجواب مطلوبٌ، ولا خفاء بأن قوله: (ما حملك على أن فعلتَ ما فعلت؟) جملة اسمية، فليكن جوابها كذلك؛ لمكان المناسبة، ولك على هذا أن تجعل (مخافتك) مبتدأ، والخبر محذوف؛ أي: حملتني[١].

فجواب المخاطب دليل على مغفرة الله ــ تعالى ــ له؛ لأنه لم يفعل ذلك شرك لله ـــ تعالى ــ وإنما إقرار بالخوف منه جل وعلا.

وبعد إقرار المخاطب بخوفه من الله ـــ سبحانه ـــ غفر له على الفور والسرعة وذلك في قوله: (فما تلافاه أن رحمه عندها) وقال مرة أخرى: (فما تلافاه غيرها) يعني: أنه تعالى عندما قال هذه الكلمة، رحمه دون إمهال، بل أسرع إليه برحمته [٢].

وقد أظهر البيان النبوي الشريف أنه ــ تعالى ــ يقول ويتكلم متى شاء، ويكلم من يشاء، وكلامه تعالى لا حصر له ولا نفاد، وهو غير خلقه؛ لأن الكفار والمنافقين يريدون أن يبدلوا كلام الله، وذلك قد يقع، وأما خلق الله ـــ تعالى ــ فلا تبديل له.، كما دل البيان الشريف إثبات الصفات الا ختيارية لله ـــ تعالى ـــ وهي من تمام حمده، فمن لم يقر بها لم يمكنه الإقرار بأن الله محمود، ولا أنه رب العالمين [٣].

وعلى وجه الجملة جاء البيان النبوي الشريف وما تآزر معه من معان بلاغية أداة كاشفة على إيقاظ المخاطب وتنبيهه على ما ينبغين فالله ــ تعالى ـــ هو القادر على كل شيء.

---

[١]- ينظر: المرجع السابق (٢٤٣/١٠، ٢٤٤).

[٢]- ينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٤٠٠/٢).

[٣]- ينظر: المرجع السابق (٤٠٠/٢).

المبحث الثاني
أثر سوق المعلوم مساق غيره في إفهام المخاطب وإقراره

جاء سوق المعلوم مساق غيره في البيان النبوي الشريف أداة كاشفة لفهم المخاطب وحثه على الاستجابة في المواقف التي تستدعي ذلك، فممن جاء فهمًا للمخاطب قوله ــ ﷺ ــ في مقام من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، فيما رواه الإمام مسلم بسنده:

" عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَقِيتُ عِتْبَانَ، فَقُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ، قَالَ: أَصَابَنِي فِي بَصَرِي بَعْضُ الشَّيْءِ، فَبَعَثْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتُصَلِّيَ فِي مَنْزِلِي، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَدَخَلَ وَهُوَ يُصَلِّي فِي مَنْزِلِي وَأَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ أَسْنَدُوا عُظْمَ ذَلِكَ وَكُبْرَهُ إِلَى مَالِكِ بْنِ دُخْشُمٍ، قَالُوا: وَدُّوا أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ، وَدُّوا أَنَّهُ أَصَابَهُ شَرٌّ، فَقَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ، وَقَالَ: «أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟»، قَالُوا: إِنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ، وَمَا هُوَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ: «لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَيَدْخُلَ النَّارَ، أَوْ تَطْعَمَهُ» [1].

جاء البيان النبوي الشريف دليلًا على عدم الذب عمن ذكر بسوء وهو بريء منه، كما دل البيان النبوي الشريف على عدم الخلود في النار لمن مات على التوحيد، كما دل هذا الحديث الشريف على التبرك بالصالحين وآثارهم والصلاة في المواضع التي صلوا بها وطلب التبريك منهم، كما دل مضمون الحديث على سقوط الجماعة لعذر[2].

هذا، وقد جاء سوق المعلوم مساق غيره في قوله: (أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟) وهو سؤال المتكلم ـ ﷺ ــ عما يعلمه حقيقة من إسلام هذا الرجل، فالرسول ــ ﷺ ــ يعلم أن هذا الرجل يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإنما سأل ــ ﷺ ــ بسوق المعلوم مساق غيره لهدف بلاغي، وهو

---

[1] - صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (٦١/١) رقم (٥٤).

[2] - ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين النووي (ت: ٦٧٦هـ)، (١٦١/٥)، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢ه.

إفهام المخاطب وإقراره بما أراد المتكلم من شأن هذا الرجل الذي ظنوا أنه منافق، وابن دخشم[١] هذا من الأنصار شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد، ولا يصح عنه النفاق، لأنه قد ظهر من حسن إسلامه ما منع من اتهامه بالنفاق، بل إن النبي ــ ﷺ ــ نص على إيمانه باطنًا وبراءته من النفاق[٢].

ومما يتآزر مع التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في هذا المقام، التعبير بأسلوب القصر في قوله ــ ﷺ ــ (لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)؛ دلالة وتأكيدًا على دخول الجنة لمن نطق بالشهادة، لأنها أساس وعمود الدين، فمن نطق وصدق بها وجبت له الجنة، كذلك التعبير بالتأكيد وإسمية الجملة في قوله ــ ﷺ ــ (وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ)، استكمالًا لدعائم الأسس الدينية، وتقوية لمراد الرسول ـ ﷺ ــ في إفهام المخاطب وتوعيته نحو المطلوب في صورة قوية لا تقبل الجدال والمناقشة، فالذي نطق بالشهادتين تصديقًا وقولًا برأ من النفاق ووجبت له الجنة، كما كشف هذا التعبير عدم الظن والشك في المسلمين ورميهم بالباطل.

وعلى وجه الجملة جاء السياق موضحًا ومبينًا للسامع مدى أهمية سوق المعلوم مساق غيره في هذا المقام في صورة لطيفة واضحة أظهرت للسامع مدى مراد الرسول ــ ﷺ ــ في أسلوب موجز واضح يظهر بلاغته ــ ﷺ ــ وتعامله مع المخاطب الذي غابت عنه بعض الأمور الدينية .

ومنه ما جاء في مقام الاستسقاء ما رواه البخاري ومسلم بسندهما:

"عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،

---

[١] - هو: عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي، مختلف في نسبته، وشهد بدرًا عند الجميع، وكان يتهم بالنفاق، فقال النبي ـ ﷺ ـ لا تسبوا أصحابي، ولهذا لا يصح عنه النفاق، وقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع من اتهامه . ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تح/علي محمد البجاوي (٣/ ١٣٥١)، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تح/عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض (٥/٥٣٤)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ

[٢] - ينظر: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تح/: أبو إسحاق الحويني (١/٥٠)، ط١، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

قَالَ: " أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ[1] كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ " [2].

جاء البيان النبوي الشريف كاشفًا بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، فـ " من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب" [3].

وجاء سوق المعلوم مساق غيره في قوله ــ ﷺ ــ (هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟)، وهو سؤال يعلمه المتكلم حقيقة، وإنما عبر بسوق المعلوم مساق غيره؛ تنبيهًا للمخاطب وإفهامًا له أن المطر هو من عند الله ــ سبحانه ــ وليس من الأنواء وغيرها، قال ـ تعالى ــ (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ)[4].

وتظهر بلاغة التعبير بأسلوب سوق المعلوم مساق غيره في هذا المقام، في الحث والتوجيه على القضاء على مزاعم الجاهلية الذين كانوا يعتقدون أن المطر من فعل الكواكب [5]، وإشارة وتنبيهًا للمخاطب على دفع التوهم المزعوم من عادات الجاهلية، وإفهامًا للمخاطب على سيره على ما ينبغي فهذه العادات أصبحت في ظل الإسلام من أفعال المشركين لا ينبغي للمسلم أن يقول أو يظن أو أن تخطر على

---

[1]- النوء: مَهْمُوز وَغير مَهْمُوز: وَاحِد الأنواء، وهو النجم الذي يكون به المطر، وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر، قالوا: لا بد من أن يكون عند ذلك مطر ورياح، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم الذي يسقط حينئذ، فيقولون: مطرنا بنوء الثريا والدبران والسماك، وما كان من هذه النجوم فعلى هذا فهذه هي الأنواء واحدها نوء، وإنما سمي نوءا لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق للطلوع فهو ينوء نوءا، وذلك النهوض هو النوء فسمي النجم به . ينظر: غريب الحديث لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم الهروي (ت: ٢٢٤هـ)، تح/د. محمد عبد المعيد خان (٣٢١/١)، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد/ الدكن، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تح/رمزي منير بعلبكي، مادة (ن وو)، (١٧٢/١)، ط١، دار العلم للملايين/ بيروت، ١٩٨٧م.

[2]- أخرجه البخاري، باب الاستسقاء، باب قول الله تعالى: {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون}، سورة الواقعة (٨٢)، (٣٣/٢) رقم (١٠٣٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء (٨٣/١) رقم (١٢٥).

[3]- شرح النووي على مسلم (٦٠/٢).

[4]- سورة الشورى، الآية (٢٨).

[5]- ينظر: شرح النووي على مسلم (٦٠/٢).

باله، فالرسول الكريم ــ ﷺ ــ يطرح سؤالًا من خلال هذا الأسلوب البلاغي، ويعرف إجابته ــ ﷺ ــ ليكون هذا السؤال بمثابة اليقظة والتفكر للمخاطب وحتى يفهم مراد المتكلم في صورة سريعة.

ومنه أيضًا ما رواه مسلم بسنده:

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ، يَقُولُونَ الْكَوَاكِبُ وَبِالْكَوَاكِبِ" [١].

دل البيان النبوي الشريف على دفع ظن من قال إن المطر من الكواكب وليس من الخالق ــ سبحانه ــ وقد " جاءت الآثار بالتغليظ؛ لأن العرب كانت تزعم أن ذلك المطر من فعل النجم، ولا يجعلونه من سقى الله ـ تعالى ـ فأما من نسبه إلى الله وجعل النوء مثل أوقات الليل والنهار، كان ذلك واسعًا كما قال أبو هريرة: (سقانا الله ولم يَسْقِنا النجم) " [٢].

هذا، وقد جاء التعبر بسوق المعلوم مساق غيره في قوله ــ صلى الله عله وسلم ــ (أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟) فهو سؤال المتكلم ــ ﷺ ــ عما يعلمه حقيقة؛ لغرض تقرير المخاطب وإفهامه ودفع ظنونه التي تتعلق بداخله من الآثار الموروثة التي تظن أن وقوع المطر من أحد النجوم أو الكواكب.

وتظهر بلاغة التعبير النبوي الشريف في هذا المقام حيث اليقظة والتنبه من المخاطب إلى ما يطرحه المتكلم من أسئلة، فالاستفهام وما يفيده من التنبيه له قدرة عالية على جذب المخاطب وتنبهه على ما أراد المتكلم، فالاستفهام بالهمزة في قوله ــ ﷺ ــ (ألم) أفاد تقرير المخاطب لمراد الرسول ــ ﷺ ــ وإفهامه بصورة تفصيلية، فلو جاء الكلام بغير الاستفهام أو سوق المعلوم مساق غيره، كقوله ــ ﷺ ــ بصيغة التأكيد مثلا: (إن الله قال مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ...)، فلا ترى من التنبيه واليقظة ما رأيته بالتعبير بسوق المعلوم مساق غيره، فالتعبير بسوق المعلوم مساق غيره ــ ولا سيما في هذا المقام

---

[١] - أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء (٨٤/١) رقم (١٢٨).

[٢] - شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم لعياض بن موسى السبتي (ت: ٥٤٤هـ)، تح/الدكتور يحْيَى إسْمَاعِيل (٣٣١/١)، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

ــ أفاض على المخاطب معنى الإفهام واليقظة للمخاطب من أول وهلة، فهذه النعمة (المطر) التي تشغل كثيرًا من الناس ولا سيما في أيام القحط من قلة الماء والمؤونة، وكذلك الآثار الجاهلية الموجودة في عقول بعض المسلمين سواء بعهدهم الماضي قبل الإسلام، أم باختلاطهم بغير المسلمين، الذين يظنون أن نزول المطر من فعل الكواكب، وكل ذلك يتنافى مع تعاليم الإسلام وإخلاص العبودية لله ــ وحده ــ فهذا يتحقق مع قوة الإسلوب وتناسب الكلمة التي تتناسب مع حالة المخاطب وظروفه، وهذا يستدعي التعبير بأسلوب سوق المعلوم مساق غيره؛ لأن سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة يثير نفس المخاطب وشعوره، ويجعله يسلم بالحقائق التي أقرها عليه المتكلم بصورة سريعة.

وتظهر بلاغة التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في هذا المقام في إزاحة عبادة الكواكب من دون الخالق ــ سبحانه ــ فكون أن الكواكب تستطيع نزول المطر، هذا يعد من الإشراك بالله ـ تعالى ـــ لهذا أكد الرسول الكريم مخاطبة السامع بسوق المعلوم مساق غيره تأكيدًا على أن هذه الكواكب وغيرها لا تسيطيع إيجاد المطر فضلًا عن نزوله وإنقطاعه.

وبقي لي كلمة أقولها في هذا المقام، وهي أن من اعتقد أن نزول المطر من الكواكب فهو كافر ومشرك بالله ــ تعالى ــ وأما من اعتقد أن لا خالق إلا الله سبحانه، ولكن جعل فى بعض الاتصالات من الكواكب دلالة على وقوع المطر من خلقه تعالى، على عادة جرت فى ذلك فلا يكفر بهذا، إذا عبر عنه بعبارة لا يمنع الشرع منها [1].

ومما جاء في مقام إقرار المخاطب يوم العرض على الله ــ تعالى ــ ما رواه البخاري بسنده:

"عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ، كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: " يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: أَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ " [2] .

---

[1] - ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣٣١/١).

[2] - أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب ـ عز وجل ـ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (١٤٨/٩) رقم (٧٥١٤).

جاء البيان النبوي الشريف كاشفًا مدى مغفرة الله ـــ تعالى ـــ ومسامحته للعبد، وثبوت العرض على الله ـــ تعالى ـــ يوم القيامة، والعرض يكون يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله، فالجدال للكفار، يجادلون لأنهم لا يعرفون ربهم فيظنون أنهم إذا جادلوا نجوا، والمعاذير اعتذار الله لآدم وأنبيائه بإقامته الحجة على أعدائه، والثالثة للمؤمنين وهو العرض الأكبر[١] .

وجاء سوق المعلوم مساق غيره في قوله ـــ تعالى ـــ (أَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟)، وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة، فالله ـــ تعالى ـــ يعلم أعمال العبد قليلها وكثيرها، ولكن جاء التعبير بسوق المعلوم مساق غيره؛ لغرض بلاغي وهو إقرار المخاطب " بذنوبه ليعرّفه منّته عليه في ستره في الدنيا وعفوه في الآخرة " [٢].

وقد تآزر مع التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في هذا المقام، التعبير بالتوكيد في قوله ـــ تعالى ـــ (إني) فالتوكيد دليل على ثبوت المغفرة لهذا العبد، الذي ستره الله في الدنيا والآخرة، كذلك التعبير بالفعل الماضي (سترت) من الإخفاء، فـــ " سَتَرَ الشيءَ يَسْتُرُه ويَسْتِرُه سَتْراً وسَتَراً: أَخفاه" [٣]، وكذلك التعبير بالفعل (غفر) في قوله: (أغفرها) دليل على ثبوت المغفرة منه ـــ سبحانه ـــ لهذا العبد.

وقد ظهرت بلاغة البيان النبوي الشريف في ثبوت نجوى الله ـــ تعالى ـــ مع المؤمنين، والنجوى هي : " المحادثة بين اثنين أو أكثر سرًا، بحيث لا يسمع حديثهم من قرب منهم، والمقصود هنا: كلام الرب - تعالى - مع عبده سرًا" [٤].

والذي دل على هذا المعنى قوله: (يدنو أحدكم من ربه) وفي رواية: (يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [٥]، فالله ـــ تعالى ـــ وصف نفسه بأنه يدنو، ويقرب من بعض

---

[١]- ينظر: فتح الباري (٤٠٣/١١).

[٢]- شرح القسطلاني (٤٤٥/١٠).

[٣]- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على بن منظور (ت: ٧١١هـ)، مادة (س، ت، ر)، (٣٤٣/٤)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

[٤]- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/ ٤١٥).

[٥]- مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تح/شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، من مسند عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ (٨٤/١٠، ٨٥) رقم (٥٨٢٥)، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

عباده، دون بعض، وقد تكاثرت النصوص في ذلك، كلها تدل على أنه ــ تعالى ــ يقرب من بعض خلقه، ويدنو إليهم، كقوله ــ تعالى ــ : {وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} [1]، وقوله ــ تعالى ــ: {وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ} [2]، وقوله ــ تعالى ــ: {ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ} [3]،والأدلة على هذا الأصل العظيم لا حصر لها، واتفق السلف الصالح، ومن تبع كتاب الله، وسنة نبيه، وآمن بهما، على القول بذلك، والإيمان به [4] .

فالبيان النبوي الشريف جاء من خلال التعبير بسوق المعلوم مساق غيره وما تآزر معه من معان بلاغية مؤكدًا هذا المضمون من الوقوف بين يدي الله ــ تعالى ــ والعرض عليه يوم القيامة، وقد فهم وأقر المخاطب بهذا ودعا إليه غيره في صورة سريعة.

<u>ومما جاء في مقام كلام الرب مع أهل الجنة ما رواه البخاري بسنده:</u>

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ: " أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَوَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، فَأَسْرَعَ وَبَذَرَ، فَتَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ "، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَجِدُ هَذَا إِلَّا قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ"[5] .

جاء البيان النبوي الشريف دليلًا على كلام الخالق ــ سبحانه ــ مع أهل الجنة، وأن هذا الأعرابي سأل الله ــ تعالى ــ أن يزرع في الجنة فأذن له بالزرع فعند ذلك

---

[1]- سورة البقرة، الآية (٢٨١).
[2]- سورة البقرة، من الآية (٢٢٣).
[3]- سورة الزمر، من الآية (٧).
[4]- ينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٤١٧/٢).
[5]- أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة (١٥١/٩) رقم (٧٥١٩).

قام ورمى البذر على أرض الجنة فنبت في الحال واستوى، وأدرك حصاده فكان كل حبة مثل الجبل [١] .

هذا، وقد جاء التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في قوله ــ تعالى ــ (أَوَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟) وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة، فالله ــ تعالى ــ أعلم بهذه النعم التي أنعمها على أصحاب الجنة، ومدى رضاهم بها، ولكنه ـ سبحانه ـــ عبر بسوق المعلوم مساق غيره؛ لغرض بلاغي وهو إقرار المخاطب بعجائب القدرة الإلهية، فالله ــ تعالى ــ حين أذن للأعرابي بالزرع في الجنة " خرج الزرع فاستوى وانحصد، واجتمع حبا متراكما أمثال الجبال في لحظة واحدة؛ لأن الجنة ليس فيها نصب وكد وتعب، وإنما فيها تنعم وراحة، وما يشتهون، وهذا من عجائب قدرة الله القادر على كل شيء" [٢].

وتظهر بلاغة التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في هذا المقام في إقرار المخاطب ويقظته نحو قدرة الخالق ــ سبحانه ــ فالسرعة في الإنبات والحصاد والحجم دليل على القدرة العالية في الإنشاء والإيجاد، كما تظهر بلاغة البيان النبوي في إلف النفوس لما تزاوله من الأعمال، حتى تحبه، ويصير من مشتهياتها، ويكون لها فيه متعة وراحة، وهذا الرجل بقيت معه هذه المحبة إلى الجنة، وفيه أن ما يشتهيه أهل الجنة من أمور الدنيا يمكن حصوله لهم، وأنهم يطلبون ما أرادوا من ربهم تعالى[٣].

وتظهر بلاغة التعبير بالاستفهام في قوله: (أولست فيما شئت؟) إشارة إلى أن هذا الرجل لا يحتاج إلى الزراعة لحاجة كالأكل مثلًا، وإنما هو مجرد محبة للزرع الذي كان يزاوله في الدنيا، ولذلك كانت الإجابة بالتقرير بقوله: (بلى، ولكن أحب أن أزرع)، فلما بزر لم يكن بين ذلك وبين استواء الزرع ونجاز أمره كله من القلع والحصد والتذرية والجمع إلا قدر لمحة البصر[٤] .

---

[١]- ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٨٦/١٢)، ومنحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري» لزكريا بن محمد زكريا الأنصاري (ت: ٩٢٦ هـ)، تح/سليمان بن دريع العازمي (٤١٢/١٠)، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض/ المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م .

[٢]- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/ ٤٦٨) .

[٣]- ينظر: المرجع السابق (٢/ ٤٦٨) .

[٤]- ينظر: عمدة القاري (١٨٦/١٢).

ومما يتآزر مع التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في هذا المقام، التعبير بالإغراء في قوله: (دونك)، أي: خذه، وضمير الشأن في قوله: (فإنه) أي: فإن الشأن لا يشبعك شيء، أي: لما طبع عليه لأنه لا يزال يطلب الازدياد إلا من شاء الله[١] .

هذا وقد دل البيان النبوي الشريف على أن الجنة يوجد فيها كل ما تشتهي الأنفس من أعمال الدنيا ولذاتها، قال الله تعالى: {وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين} [٢]، كما كشف البيان النبوي الشريف أن من لزم طريقة أو حالة من الخير أو الشر أنه يجوز وصفه بها ولا حرج على واصفه، وأن الله ــ تعالى ــ أغنى أهل الجنة عن نصب الدنيا وتعبها، وفي البيان الشريف إشارة إلى فضل القناعة وذم الشر، وفيه ــ أيضًا ــ الإخبار عن الأمر المحقق الآتي بلفظ الماضي[٣]، وأن هذه الأخبار واقعة يوم القيامة؛ لأنها إخبار عن غيب فيجب الإيمان بها والدعوة إليها.

[١]- ينظر: المرجع السابق (١٨٦/١٢)، وشرح القسطلاني (٤٥١/١٠).
[٢]- سورة الزخرف، الآية (١٧).
[٣]- ينظر: عمدة القاري (١٨٦/١٢).

المبحث الثالث

أثر سوق المعلوم مساق غيره في الإنكار على المخاطب

جاء هذا الأسلوب البلاغي في البيان النبوي الشريف في المقامات المتعددة التي تظهر للمخاطب إنكاره ــ ﷺ ــ على بعض المواقف التي صدرت من المخاطب، فجاء هذا الأسلوب البلاغي حاملًا معنى الإنكار حتى يتعلم المخاطب ولا يعود إلى ما فعل مرة أخرى، وقد كان هذا الأسلوب البلاغي يمثل معنى التصور للفعل المنكر بصورة صريحة حتى يعرف المخاطب خطأه ويبادر إلى المعالجة بطريقة سريعة، فمما جاء في مقام تحريم قتل الكافر بعد قوله: (لا إله إلا الله) ما رواه البخاري ومسلم بسندهما:

"عَن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ " [١].

سبب هذا الحديث كما قال أسامة بن زيد ــ رضي الله عنه ــ " بعثنا رسول الله ــ ﷺ ــ في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلا فقال: (لا إله إلا الله) فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ــ ﷺ ــ فقال رسول الله ــ ﷺ ــ أقال: (لا إله إلا الله) وقتلته، قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفا من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا، من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت يومئذ" [٢] .

هذا، وقد جاء سوق المعلوم مساق غيره في قوله ــ ﷺ ــ (أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟)، فالرسول ــ ﷺ ــ يعلم أن أسامة ــ رضي الله عنه ــ قتل هذا الرجل بعد

---

[١]- أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ــ ﷺ ــ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة (١٤٤/٥) رقم (٤٢٦٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله (٩٧/١) رقم (١٥٩).

[٢]- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف لإبراهيم بن محمد بن محمد الحُسَيْني (ت: ١١٢٠هـ)، تح/سيف الدين الكاتب (١٢٦/١)، ط، دار الكتاب العربي، بيروت .

نطقه للشهادة، بدليل اعتراف أسامة ــ رضي الله عنه ــ لرسول الله ــ ﷺ ــ بذلك، ولكن رسول الله ــ ﷺ ــ عبر بسوق المعلوم مساق غيره؛ إنكارًا وتوبيخًا للمخاطب على ما فعل.

ومما يتآزر مع التعبير بسوق المعلوم مساق غيره، التعبير بالاستفهام التوبيخي في قوله ـ ﷺ ــ (أقتلته)، فهمزة الاستفهام تدل على التوبيخ والتعجب من فعل أسامة ــ رضي الله عنه ــ " أي: أقتلت ذلك الرجل (بعد ما قال) أي بعد قوله (لا إله إلا الله) محمد رسول الله" [1].

كذلك التكرار في جملة: (أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟) كما في رواية الإمام مسلم، التي دلت على إنكار رسول الله ــ ﷺ ــ لما فعله أسامة ــ رضي الله عنه ــ من قتل النفس بعد أن نطقت بكلمة التوحيد.

وكذلك قول أسامة ـ رضي الله عنه ـ (فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ)؛ إشارة وتنبيهًا على مدى العذاب الداخلي الذي شعر به أسامة ــ رضي الله عنه ــ حين علم رسول الله ــ ﷺ ــ بما فعل أسامة ــ رضي الله عنه ــ فالتعبير بسوق المعلوم مساق غيره جعل المخاطب لا يشعر بذنبه فحسب بل جعله يتحسر داخليًا حتى تمنى أنه لم يسلم قبل هذا الموقف.

وفي رواية الإمام مسلم: «لِمَ قَتَلْتَهُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: «وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2] .

فهذه الرواية أوضحت إنكار الرسول ــ ﷺ ــ لما فعل أسامة ــ رضي الله عنه ــ من قتل الرجل الذي قُتل بعد نطقه بكلمة التوحيد، " وكان معلومًا مشهورًا أن من

---

[1]- الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى:الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج) لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور/ هاشم محمد علي مهدي (٩٢/٣)، ط١، دار المنهاج ـ دار طوق النجاة، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩ م.

[2]- أخرجه الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله (٩٧/١) رقم (١٦٠).

قالها عصم دمه وماله، ... لكن أسامة اعتقد أنه يخادع بها لينجو من السيف، فقاتله بالسيف فاحتمى منه، فطعنه أسامة برمحه حتى قضى عليه، وذهب البشير بخبر السرية إلى رسول الله ــ ﷺ ــ وحدثه حديث أسامة وقتيله، فلما وصل أسامة إلى المدينة سأله رسول الله ــ ﷺ ــ (أقتلته يا أسامة بعد أن قال لا إله إلا الله؟) قال: إنه قالها خوفا من السلاح، قال له: هل شققت عن حقيقة قلبه ودخيلة نفسه لتعلم أقالها من قلبه أو خداعا؟ قال: يا رسول الله، إنه أوجع في القتل، وقتل فلانا وفلانا من المسلمين، قال رسول الله ــ ﷺ ــ (وقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟) قال أسامة: يا رسول الله استغفر لي، قال: وبم تجيب يوم القيامة إذا جاءت لا إله إلا الله تطالبك بحقها في حقن الدم والمال؟ قال استغفر لي يا رسول الله، قال: وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ أعاد أسامة وكرر طلب الاستغفار، لكن رسول الله ــ ﷺ ــ لم يزد على قوله له: كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ " [1].

وعلى وجه الجملة ترى التعبير بسوق المعلوم مساق غيره، قد ظهرت فائدته من أول وهلة، وقد أدى مراده بطريقة سريعة لا يستطيع أسلوب غيره أن يأتي بهذه الفائدة مكانه، سواء أكان أسلوب توكيد أم نداء أم أمر... إلخ، فالتعبير بسوق المعلوم مساق غيره قد كشف خطأ المخاطب لنفسه قبل الآخرين، وهذا هو مراد المتكلم وهدفه حتى يكون الخطاب له أداته وقوته، وهنا تكمن البلاغة التي هي مراعاة لمقتضى الحال.

ومما جا في مقام النهي عن الغش ما رواه الإمام مسلم بسنده:

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»[2] .

دل البيان النبوي الشريف على " أن الإمام أو من استنابه الإمام إذا ارتاب أو شك أن بعض الناس له يد عادية في غض المسلمين أو اهتضام لحقوقهم، كان له أن يسأل في ذلك، وأن يبحث، وإن أدى سؤاله وبحثه أن يتصرف في مال المظنون به

[1] - فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الأستاذ الدكتور/ موسى شاهين لاشين (٣٢٠/١)، ط١، دار الشروق،١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م .

[2] - أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ـ ﷺ ـ «من غشنا فليس منا» (٩٩/١) رقم (١٦٤).

الغش من غير إذنه تصرفا يتوصل به إلى كشف الغش والغل من غير إضرار، جاز له" [١].

هذا، وقد جاء سوق المعلوم مساق غيره في قوله ــ ﷺ ــ (مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟)؛ إنكارًا لما رأه ــ ﷺ ــ من غش هذا البائع للطعام، فالرسول ــ ﷺ ــ يعلم هذا الغش بخبرته ومعرفته ألا ترى إلى غمس رسول الله ــ ﷺ ــ يده في طعام هذا الغاش من غير إذنه، حتى نالت البلل [٢].

وتظهر بلاغة التعبير بسوق المعلوم مساق غيره في هذا المقام في التحذير من الغش ولهذا قال رسول الله ــ ﷺ ــ (من غشنا فليس منا)أي: ليس على مسيرتنا ومذهبنا[٣] .

ومن بلاغة البيان النبوي في هذا المقام، حسن التفقد للرعية، ومراقبة التجار، فهذا رسول الله ــ ﷺ ــ ينزل السوق بنفسه حتى يتحرى أحوال الناس ومعاشهم، وأثناء تفقده ــ ﷺ ــ رأى صبرة (كومة) من الطعام فأدخل) رسول الله ــ ﷺ ــ (يده فيها) أي: في داخل تلك الصبرة، ليُجرب باطنها هل هو كظاهرها أم لا (فنالت) أي فأصابت (أصابعه) ــ ﷺ ــ (بللًا) أي: رطوبة في داخل الصبرة (فقال) رسول الله ــ ﷺ ــ لصاحب الطَّعام (ما هذا) البلل الداخلي (يا صاحب الطَّعام) ومالكه (قال) صاحبه (أصابته) أي أصابت هذا الطَّعام (السماء) أي المطر (يا رسول الله قال) له رسول الله ــ ﷺ ــ دسيته وأخفيته في الداخل (فلا جعلته) أي: أفلا جعلت هذا البلل ظاهرًا (فوق الطَّعام) وأعلاه (كي يراه) أي لكي يرى ويُبصر هذا البلل (الناس) الذين أرادوا شراءه، فلا يغتروا بظاهره (من غش) الناس، ودس لهم الشر وأراد بهم الضرر، ولم ينصح لهم (فليس) ذلك الغاش (مني) أي من أهل ملتي وديني، إن استحل ذلك، أو ليس على سيرتي وهدي [٤]، وهذا الحوار مع تاجر الطعام يعلم الحكام تفقد الرعية، ومحاسبة المقصر حتى يعم السلام والرخاء في المجتمع الإسلامي .

---

[١]- الإفصاح عن معاني الصحاح ليحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ(ت: ٥٦٠هـ)، تح/ فؤاد عبد المنعم أحمد (٩٤/٨)، ط، دار الوطن،١٤١٧هـ.

[٢]- ينظر: المرجع السابق (٩٤/٨).

[٣]- ينظر: المرجع السابق (٩٤/٨).

[٤]- ينظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (١٠٨/٣، ١٠٩).

ومما جاء في مقام النهي عن الشفاعة في الحدود، ما رواه البخاري ومسلم بسندهما:

"عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا "[١].

جاء البيان النبوي الشريف مظهرًا عدم الشفاعة في الحدود، وسبب هذا الحديث الشريف " أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا من يكلم رسول الله، ومن يجترىء عليه إلا أسامة حب رسول الله ــ ﷺ ــ فكلم رسول الله ــ ﷺ ــ فقال له أتشفع في حد من حدود الله؟، ثم قام فخطب، فقال: يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فذكره، ثم قال: وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها "[٢].

هذا، وقد جاء البيان النبوي الشريف ناهيًا عن الوساطة والشفاعة في حدود الله ــ سبحانه وتعالى ــ من خلال التعبير بـ (سوق المعلوم مساق غيره) في قوله ــ ﷺ ــ (أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ؟)، فالرسول الكريم ــ ﷺ ــ يسأل عما يعلمه حقيقة، وهو أن أسامة ــ رضي الله عنه ــ يشفع في حد من حدوده ــ سبحتنه وتعالى ــ ولكنه ــ ﷺ ــ ساق المعلوم مساق غيره؛ لغرض بلاغي، وهو إنكار ما فعله المخاطب من الشفاعة لتلك المرأة التي سرقت، فالاستفهام في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (أَتَشْفَعُ) للإنكار؛ لأنه ــ رضي الله عنه ــ كان سبق له منع

---

[١]- أخرجه البخاري، كتاب الحدود، كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان (١٦٠/٨) رقم (٦٧٨٨)، ومسلم في كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود (١٣١٥/٣) رقم (١٦٨٨).

[٢]- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف (٢٦٥/١، ٢٦٦).

الشفاعة في الحد قبل ذلك [١]، وقيل: للتوبيخ المشوب بالإنكار أي: أتشفع إليَّ يا أسامة في إسقاط حد من حدود الله ــ سبحتنه وتعالى ــ وتركه والعفو عنه [٢].

والناظر في السياق، يرى ما يدل على هذا الإنكار والتوبيخ للمخاطب؛ وذلك ظاهر من التعبير بالتوكيد والحصر في قوله ــ ﷺ ــ (إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا) الذي أكد أن هلاك الأمم السابقة كان بسبب الظلم والوساطة فيما بينهم، فالقانون لا يسري إلّا على الضعيف، بينما القوي لا يستطع أحد أن ينظر إليه !، وهذا الحصر ليس عامًا، وإنما هو ادعائي؛ لأن بني إسرائيل كان فيهم أمور كثيرة تقتضي الإهلاك، فيحمل ذلك على حصر المخصوص، وهو الإهلاك بسبب المحاباة في الحدود [٣]، وهذا الحصر " فيه تعظيمُ أمرِ المحاباة للأشراف في حدود الله تعالى " [٤].

وتظهر بلاغته ــ ﷺ ــ في التعبير بـــ (إذا) الشرطية دون (إن) في قوله: (إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ)، فالتعبير بـــ(إذا) يكون في الشيء المقطوع به، والتعبير بـــ(إن) يكون في الشيء الغير مقطوع به، يقول الخطيب: " الأصل في (إن) ألا يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقوعه كما تقول لصاحبك: (إن تكرمني أكرمك)، وأنت لا تقطع بأنه يكرمك، والأصل في (إذا) أن يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقوعه، كما تقول: (إذا زالت الشمس آتيك) " [٥]، فكان التعبير بـــ(إذا) في بيانه الشريف مقطوعًا به؛ لأن هذا الظلم ــ من جانبهم ــ كان محققًا وواقعًا.

---

[١]- ينظر: فتح الباري لابن حجر (٩٤/١٢)، وعمدة القاري للعيني (٦٠/١٦).
[٢]- ينظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم للهرري (٤٢١/١٨).
[٣]- ينظر: فتح الباري لابن حجر(٩٤/١٢)، والكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم للهرري (٤٢١/١٨).
[٤]- مصابيح الجامع لبدر الدين الدماميني، اعتنى به تحقيقًا وضبطًا وتخريجًا/ نور الدين طالب (٥٢٢/٩)، ط١، دار النوادر، سوريا، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
[٥]- الإيضاح للخطيب (١١٧/٢).

وتظهر بلاغته ـــ ﷺ ـــ في التعبير بالقسم في قوله: (وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)؛ تأكيدًا على أنه لا شفاعة في حدود الله ـــ سبحتنه وتعالى ـــ وقد خص النبي ـــ ﷺ ـــ فاطمة ابنته ؛ لأنها أعز أهله عنده [1].

فالنبي ـــ ﷺ ـــ من خلال هذه المعاني المتزاحمة جعل أسامة ـــ رضى الله عنه ـــ يشعر بارتكاب الكبيرة، فبادر بالتوبة والإنابة والعودة إلى الصواب، فالرسول ـــ ﷺ ـــ كان شديدُ اللهجةِ مع مَنْ تساهل في حدود الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ ضاربًا أروع الأمثلة في العدل بعيدًا عن الوساطة والمجاملة.

[1]- ينظر: عمدة القاري للعيني (٢٧٧/٢٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي شرح صدري، ويسر أمري، وهداني إلى طريق الحق، وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ـــ ﷺ ـــ وعلى آله وصحبه وسلم.

أمَّـــا بـعـــد ؛؛؛

فبعد هذه الرحلة الشيقة في البيان النبوي الشريف، ومع أسلوب سوق المعلوم مساق غيره، ظهر لي بعض النتائج وأهمها:

- أثبت البحث أن سوق المعلوم مساق غيره، له غرضٌ أساسٌ، هو لفت الأنظار، وإثارة الانتباه، وإعمال الفكر فيما أراده النبي ـــ صلى الله عليو وسلم ـــ وأنه ـــ ﷺ ـــ كان يقصد هذا التعبير ويرمي إليها، ولم يأت عفوًا، وليس من فعل الرواة.
- أثبت البحث أن أكثر صور سوق المعلوم مساق غيره، هو تنبيه المخاطب؛ لأن أسلوب الأحاديث قائم على التعليم والتوجيه أو الترغيب والترهيب، وهذا يبث في نفس المخاطب الرغبة أو الرهبة من مضمون الخبر بأسلوب تشويقي داع إلى التساؤل عن العلة؛ فيبعث في النفس المسارعة إلى المرغب فيه أو الإحجام عن المرهب منه.
- استخدم الرسول سوق المعلوم مساق غيره، وقد تحققت أغراضه المتنوعة، ونكاته اللطيفة النافعة، ومن ذلك قوله ـــ ﷺ ـــ مخبرًا عن رب العزة ـــ سبحانه ـــ (فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟) الذي دل على تنبيه المخاطب وتقريره، وكذلك قوله ـــ سبحانه ـــ (أَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟)، وقوله ـــ ﷺ ـــ ((أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟) في الإنكار على المخاطب، وقد تم الوقوف على هذه المقامات وغيرها في موضعها.
- جاء سوق المعلوم مساق غيره كاشفًا بلاغة الرسول ـــ ﷺ ـــ في أبهى معانيها حيث فهما المخاطب ووعاها ودعا إليها غيره.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني، ط٧، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣هـ.

٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف النمري القرطبي، تح/علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، تح/عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ

٤. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي، ط٨، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥ هـ /٢٠٠٥م.

٥. الإفصاح عن معاني الصحاح ليحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، تح/ فؤاد عبد المنعم أحمد، ط، دار الوطن،١٤١٧هـ.

٦. البديع في البديع لأبي العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ، ط١، دار الجيل، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٧. البيان والتبيين لعمرو بن بحر الشهير بالجاحظ ، ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت،١٤٢٣ هـ.

٨. البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف لإبراهيم بن محمد بن محمد الحُسَيْني، تح/سيف الدين الكاتب، ط، دار الكتاب العربي، بيروت .

٩. تحرير التحبير لابن أبي الإصبع، تح/ د.حفني محمد شرف، ط لجنة إحياء التراث الإسلامي.

١٠. الجامع في الحديث لابن وهب لأبي محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي، تح/د. مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، ط١، دار ابن الجوزي – الرياض، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م.

١١. جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تح/رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين/ بيروت، ١٩٨٧م.

١٢. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،

تح/: أبو إسحاق الحويني، ط١، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

١٣. السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، حققه وخرج أحاديثه/ حسن عبد المنعم شلبي، إشراف شعيب الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م.

١٤. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تح/ د. عبد الحميد هنداوي، ط١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م.

١٥. شرح صحيح البخارى لأبي الحسن علي بن خلف بن بطال، تح/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٦. شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم لعياض بن موسى السبتي، تح/الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

١٧. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله بن محمد الغنيمان، ط١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ.

١٨. شعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تح/الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ومختار أحمد الندوي، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

١٩. صحيح الإمام مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تح/محمد فؤاد عبد الباقي، ط، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٠. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لأحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي، تح/الدكتور عبد الحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري لأبي محمد محمود بن أحمد العينى، ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢٣. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته للعظيم آبادي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
٢٤. غريب الحديث لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم الهروي، تح/د. محمد عبد المعيد خان، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد/ الدكن، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
٢٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ه .
٢٦. فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الأستاذ الدكتور/ موسى شاهين لاشين، ط١، دار الشروق،١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م .
٢٧. كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، دار الكتب العلمية بيروت / لبنان، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٢٨. كتاب الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري، تح/علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.
٢٩. الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى:الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج) لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور/ هاشم محمد علي مهدي، ط١، دار المنهاج - دار طوق النجاة، ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م.
٣٠. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على بن منظور، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٣١. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .
٣٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تح/شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ /

٢٠٠١م.
٣٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح/شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣٤. مصابيح الجامع لمحمد بن أبي بكر بن عمر المعروف بالدماميني، تح/نور الدين طالب، ط١، دار النوادر، سوريا، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
٣٥. مفتاح العلوم لأبي يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه/ نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
٣٦. منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري» لزكريا بن محمد زكريا الأنصاري، تح/سليمان بن دريع العازمي، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض/ المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م .
٣٧. منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ط، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة .
٣٨. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢ه.
٣٩. نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب البكري، شهاب الدين النويري، ط دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.